خارج الفقه

۱۳-۱۱-۱۴۰۴فقه اکبر ۳

۶۴

(مکتب و نظام سیاسی اسلام)

دراسات الاستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

مبانی مکتب سیاسی اسلام

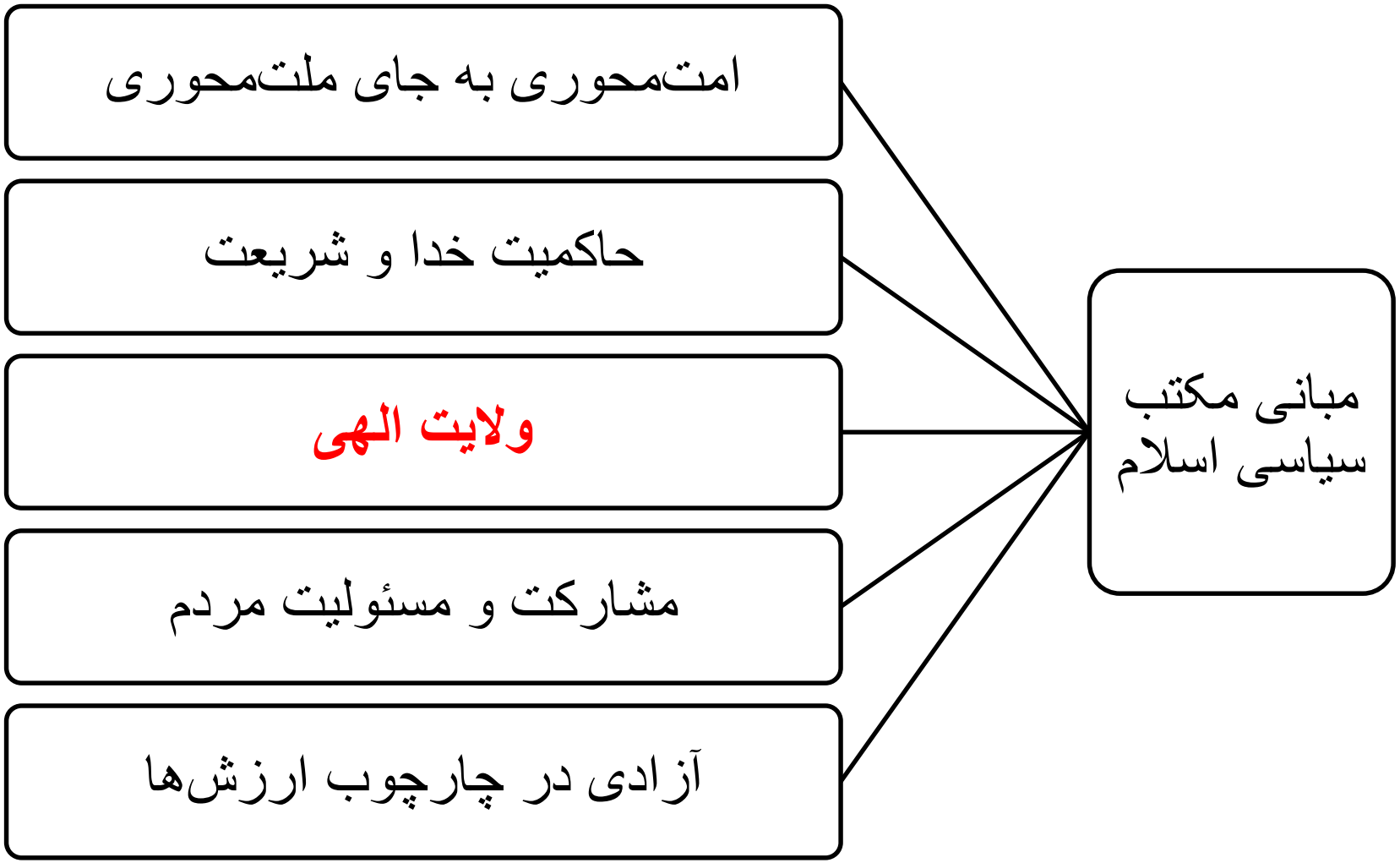

مبانی مکتب سیاسی اسلام

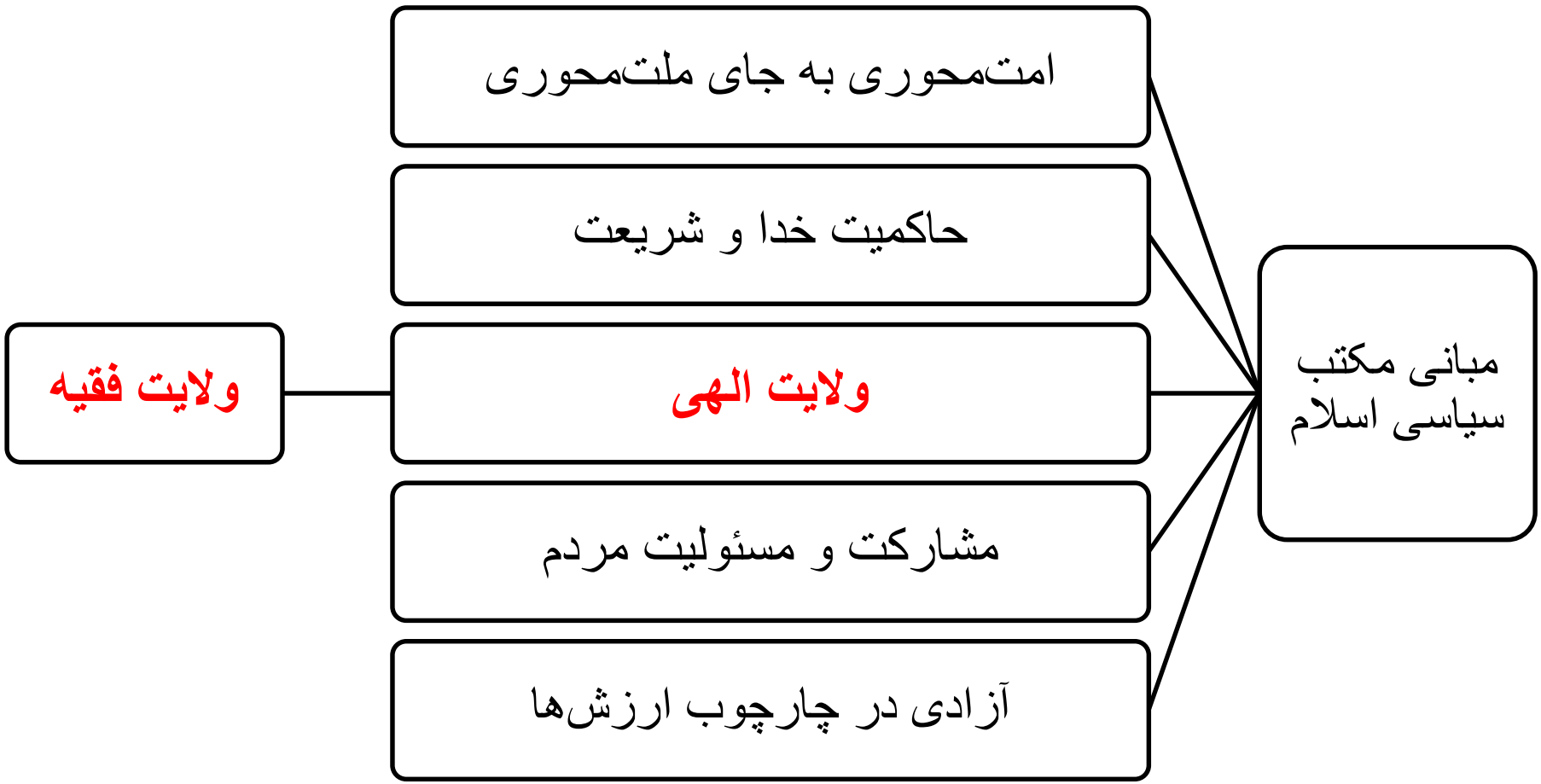

أدلة ولاية الفقيه

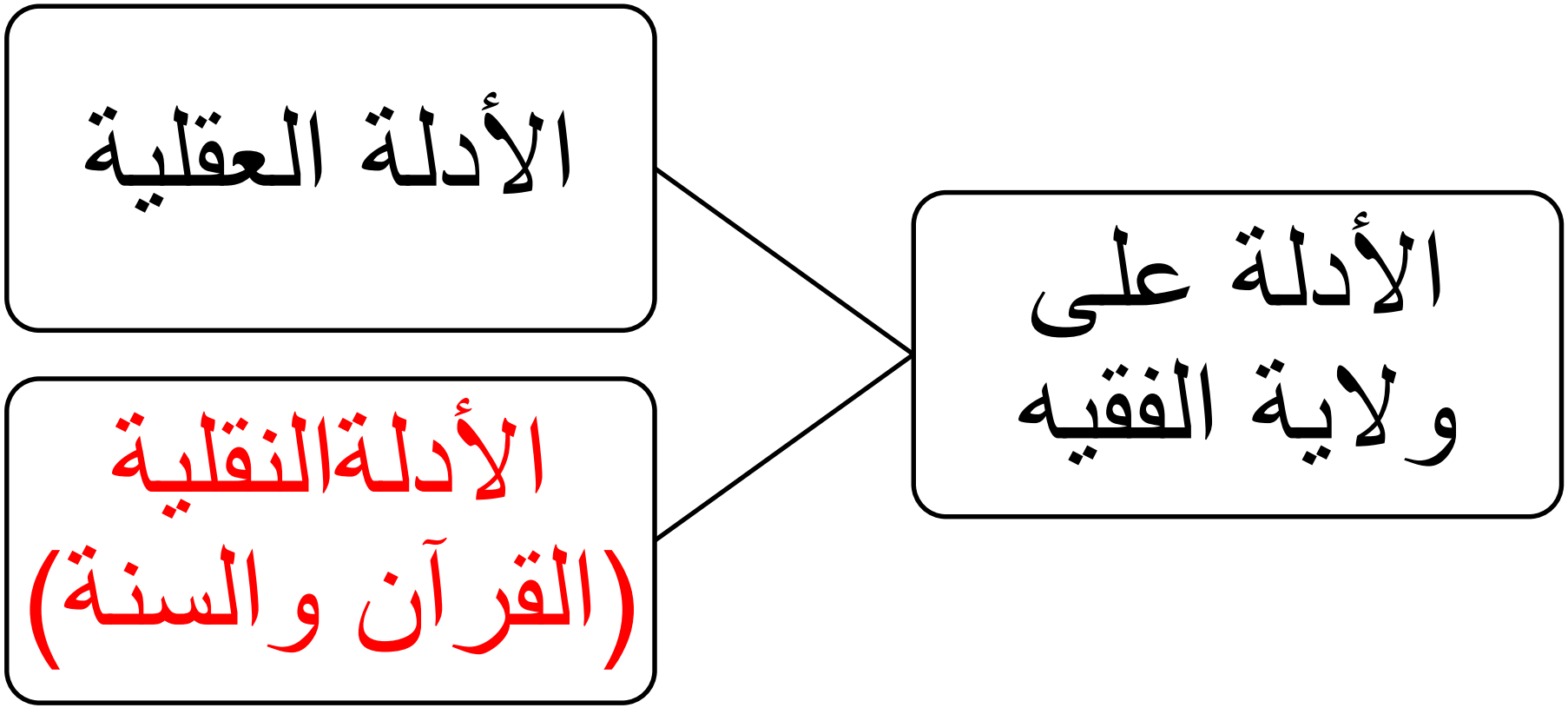

أدلة ولاية الفقيه

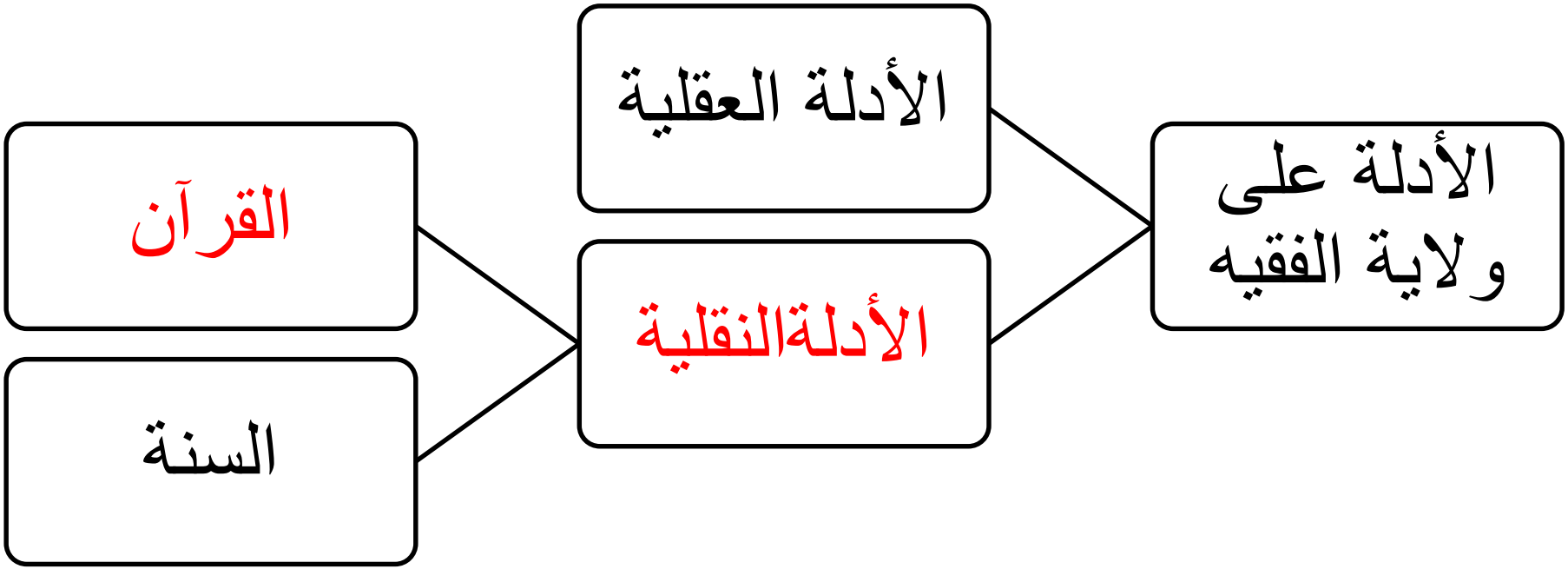

حاکمیت خدا و شریعت

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً

﴿ ۵۹ النساء ﴾

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- هذا خطابَ من اللَّه تعالى للمؤمنين يأمرهم أن يطيعوه و يطيعوا رسوله و يطيعوا أولى الأمر منهم، فالطاعة هى امتثال الأمر. فطاعة اللَّه هى امتثال أوامره و الانتهاء عن نواهيه. و طاعة الرسول كذلک امتثال أوامره و طاعة الرسول أيضاً هى طاعة اللَّه، لأنه تعالى أمر بطاعة رسوله، فمن أطاع الرسول، فقد أطاع اللَّه كما قال «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ» «١»
- (١) سورة النساء: آية ٧٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣٦

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فأما المعرفة بأنه رسول، فمعرفة بالرسالة و لا يتم ذلک إلا بعد المعرفة باللّه، و ليست إحداهما هی الأخری، و طاعة الرسول واجبة فی حياته و بعد وفاته، لأن بعد وفاته يلزم اتباع سنته، لأنه دعا إليها جميع المكلفين إلى يوم القيامة، كما أنه رسول إليهم أجمعين.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- فأما أولوَ الأمر، فللمفسرين فيه تأويلان.
- أحدهما- قال أبو هريرة، و فى رواية عن ابن عباس، و ميمون بن مهران، و السدى و الجبائى، و البلخى، و الطبرى: إنهم الامراء.
- الثانى- قال جابر بن عبد اللّه، و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و عطاء، و أبى العالية: انهم العلماء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣٦

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- و روى أصحابنا عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) أنهم الأئمة من آل محمد (ص)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- فلذلک أوجَبَ اللَّه تعالى طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعة رسوله و طاعة نفسه كذلک. و لا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كان معصوماً مأموناً منه السهو و الغلط، و ليس ذلک بحاصل فی الامراء، و لا العلماء، و إنما هو واجب فی الأئمة الذين دلت الأدلة على عصمتهم و طهارتهم،

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- فأما من قال المراد به العلماء، فقوله بعيد، لأن قوله «وَ أُولِي الْأَمْرِ» معناه أطيعوا من له الأمر، و ليس ذلك للعلماء،

التبيان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- فان قالوا: يَجب علينا طاعتهم إذا كانوا محقين، فإذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا.
- قلنا: هذا تخصيص لعموم إيجاب الطاعة لم يدل عليه دليل. و حمل الآية على العموم، فيمن يصح ذلک فيه أولى من تخصيص الطاعة بشيء دون شيء كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرسول و طاعة اللّه فى شيء دون شيء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

فإن تنازعتم فی شیء فردوه إلی اللّه و الرّسول

- و قوله: «فإن تنازعتم فی شیء فردّوه إلی اللّه و الرّسول» فمعنی الرد إلیَ اللّه هو إلَی کتابه وَ الرد إلی رسوله َهو الرد إلی سنته. و قول مجاهد، و قتادة، و میمون بن مهران، و السدی:

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۲۳۶

فإن تنازعتم فی شیءٍ فردّوه إلی اللّه و الرّسول

- و الرد إلی الأئمهٔ یجری مجری الرد إلی اللّه و الرسول، و لذلک قال فی آیهٔ أخری «وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «۲» وَ لأنه إذا کانَ قَولَهم حجهٔ مَن حیثَ کانواَ معصومین حافظین للشرع جروا مجری الرسول فی هذا الباب

- (۲) سورهٔ النساء: آیهٔ ۸۳.

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَ أَطيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» لمَا فرغ من النَدب إلى عبادَة الله وحده لا شَريک لهَ وَ بث الإحسان بين طبقات المؤمنين و ذم من يعيب هذا الطريق المحمود أو صد عنه صدودا عاد إلى أصل المقصود بلسان آخر يتفرع عليه فروع أخر، بها يستحكم أساس المجتمع الإسلامى و هو التحضيض و الترغيب فى أخذهم بالائتلاف و الاتفاق، و رفع كل تنازع واقع بالرد إلى الله و رسوله.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۷

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- و لا ينبغي أن يرتاب في أن قوله: أَطيعُوا اللَّهَ وَ أَطيعُوا الرَّسُولَ، جملة سيقت تمهيدا و توطئة للأمر برد الأمر إلى الله و رسوله عند ظهور التنازع، و إن كان مضمون الجملة أساس جميع الشرائع و الأحكام الإلهية.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۷

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- فَإِنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ تَفْرِيعٌ قَوْلُهُ: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ ثُمَّ الْعَوْدُ بَعْدَ الْعَوْدِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ إِلَخ، وَ قَوْلُهُ: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَخ، وَ قَوْلُهُ: فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ إِلَخ.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و لا ينبغى أن يرتاب فى أن الله سبحانه لا يريد بإطاعته إلا إطاعته فى ما يوحيه إلينا من طريق رسوله من المعارف و الشرائع،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و أما رسوله ص فله حيثيتان:

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- **إحداهما:** حَيثيةُ التشريع بما يوحيه إليه ربه من غير كتاب، و هو ما يبينه للناس من تفاصيل ما يشتمل على إجماله الكتاب و ما يتعلق و يرتبط بها كما قال تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ:- النحل ۴۴،

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- **و الثانية:** ما يراه من صواب الرأى و هو الذى يرتبط بولايته الحكومة و القضاء قال تعالى: لتحكم بين الناس بما أراك اللّه:- النساء ١٠٥، و هذا هو الرأى الذى كان يحكم به على ظواهر قوانين القضاء بين الناس، و هو الذى كان ص يحكم به فى عزائم الأمور، و كان اللّه سبحانه أمره فى اتخاذ الرأى بالمشاورة فقال: «و شاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على اللّه: آل عمران ١٥٩، فأشركهم به فى المشاورة و وحده فى العزم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- إذا عرفتَ هذا علمت أن لإطاعة الرسول معنى و لإطاعة الله سبحانه معنى آخر و إن كان إطاعة الرسول إطاعة لله بالحقيقة لأن الله هو المشرع لوجوب إطاعته كما قال: «وَ ما أَرْسَلْنا من رَسُول إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّه» فعلى الناس أن يطيعوا الرسول فيما يبينه بالوحى، و فيما يراه من الرأى.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و هذا المعنى (و الله أعلم) هو الموجب لتكرار الأمر بالطاعة في قوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ، لا ما ذكره المفسرون: أن التكرار للتأكيد فإن القصد لو كان متعلقا بالتأكيد كان ترك التكرار كما لو قيل: و أطيعوا الله و الرسول أدل عليه و أقرب منه فإنه كان يفيد أن إطاعة الرسول عين إطاعة الله سبحانه و أن الإطاعتين واحدة، و ما كل تكرار يفيد التأكيد.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و أما أولوا الأمر فهم- كائنين من كانوا- لا نصيب لهم من الوحى، و إنما شأنهم الرأى الذى يستصوبونه فلهم افتراض الطاعة نظير ما للرسول فى رأيهم و قولهم،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و لذلک لما ذکر وجوب الرد و التسليم عند المشاجرة لم يذکرهم بل خص الله و الرسول فقال:فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ،
- .....
- وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «سورة النساء: آية ۸۳»

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و ذلک أنَ المخاطبين بهذا الرد هم المؤمنون المخاطبون بقوله فی صدر الآیة: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا
- ، و التنازع تنازعهم بلا ریب،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و لا يجوزَ أن يفرض تنازعهم مع أولى الأمر مع افتراض طاعتهم بل هذا التنازع هو ما يقع بين المؤمنين أنفسهم، و ليس فى أمر الرأى بل من حيث حكم الله فى القضية المتنازع فيها بقرينة الآيات التالية الذامة لمن يرجع إلى حكم الطاغوت دون حكم الله و رسوله، و هذا الحكم يجب الرجوع فيه إلى أحكام الدين المبينة المقررة فى الكتاب و السنة، و الكتاب و السنة حجتان قاطعتان فى الأمر لمن يسعه فهم الحكم منهما،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و قول أولَى الأمر فى أن الكتاب و السنة يحكمان بكذا أيضا حجة قاطعة فإن الآية تقرر افتراض الطاعة من غير أى قيد أو شرط، و الجميع راجع بالآخرة إلى الكتاب و السنة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و من هنا يظهر أن ليس لأولى الأمر هؤلاء- كائنين من كانوا- أن يضعوا حكما جديدا، و لا أن ينسخوا حكما ثابتا فى الكتاب و السنة، و إلا لم يكن لوجوب إرجاع موارد التنازع إلى الكتاب و السنة و الرد إلى الله و الرسول معنى على ما يدل عليه قوله: و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا:- الأحزاب ٣۶،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ٣٨٩

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- فقضاء الله هو التشريع و قضاء رسوله إما ذلک و إما الأعم، و إنما الذى لهم أن يروا رأيهم فى موارد نفوذ الولاية، و أن يكشفوا عن حكم الله و رسوله فى القضايا و الموضوعات العامة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و بالجملة لما لم يكن لأولى الأمر هؤلاء خيرة فى الشرائع، و لا عندهم إلا ما لله و رسوله من الحكم أعنى الكتاب و السنة لم يذكرهم الله سبحانه ثانيا عند ذكر الرد بقوله: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ،
- فلله تعالى إطاعة واحدة، و للرسول و أولي الأمر إطاعة واحدة، و لذلك قال: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و لا ينبغيَ أن يرتاب في أن هذه الإطاعة المأمور بها في قوله: أَطيعُوا اللَّهَ وَ أَطيعُوا الرَّسُولَ، إطاعة مطلقة غير مشروطَة بشرط، و لاَ مقيدة بقيد و هو الدليل على أن الرسول لا يأمر بشيء، و لا ينهى عن شيء يخالف حكم الله في الواقعة و إلا كان فرض طاعته تناقضا منه تعالى و تقدس و لا يتم ذلک إلا بعصمة فيه ص.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و هذا الكلام بعينه جار فی أولی الأمر غير أن وجود قوة العصمة فی الرسول لما قامت عليه الحجج من جهة العقل و النقل فی حد نفسه من غير جهة هذه الآية دون أولی الأمر ظاهرا أمكن أن يتوهم متوهم أن أولی الأمر هؤلاء لا يجب فيهم العصمة و لا يتوقف عليها الآية فی استقامة معناها.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- بيان ذلک أن الذی تقرره الآیة حکم مجعول لمصلحة الأمة یحفظ به مجتمع المسلمین من تسرب الخلاف و التشتت فیهم و شق عصاهم فلا یزید علی الولایة المعهودة بین الأمم و المجتمعات، تعطی للواحد من الإنسان افتراض الطاعة و نفوذ الکلمة، و هم یعلمون أنه ربما یعصی و ربما یغلط فی حکمه،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- لكن إذا عَلم بمخالفته القانون فی حكمه لا يطاع فيه، و ينبه فيما أخطأ، و فيما يحتمل خطؤه ينفذ حكمه و إن كان مخطئا فی الواقع و لا يبالی بخطئه فإن مصلحة حفظ وحدة المجتمع و التحرز من تشتت الكلمة مصلحة يتدارک بها أمثال هذه الأغلاط و الاشتباهات.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و هذا حالَ أولى الأمر الواقع في الآية في افتراض طاعتهم فرض الله طاعتهم، على المؤمنين فإن أمروا بما يخالف الكتاب و السنة فلا يجوز ذلك منهم و لا ينفذ حكمهم قول رسول الله ص: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» و قد روى هذا المعنى الفريقان و به يقيد إطلاق الآية،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و أما الخطأ و الغلط فإن علم به رد إلى الحق و هو حكم الكتاب و السنة، و إن احتمل خطؤه نفذ فيه حكمه كما فيما علم عدم خطإه، و لا بأس بوجوب القبول و افتراض الطاعة فيما يخالف الواقع هذا النوع لأن مصلحة حفظ الوحدة فى الأمة و بقاء السؤدد و الأبهة تتدارک بها هذه المخالفة،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و يعود إلىَ مثل ما تقرر فى أصول الفقه من حجية الطرق الظاهرية مع بقاء الأحكام الواقعية على حالها، و عند مخالفة مؤداها للواقع تتدارک المفسدة اللازمة بمصلحة الطريق.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و بالجملة طاعة أولى الأمر مفترضة و إن كانوا غير معصومين يجوز عليهم الفسق و الخطأ فإن فسقوا فلا طاعة لهم، و إن أخطئوا ردوا إلى الكتاب و السنة إن علم منهم ذلك، و نفذ حكمهم فيما لم يعلم ذلك، و لا بأس بإنفاذ ما يخالف حكم الله فى الواقع دون الظاهر رعاية لمصلحة الإسلام و المسلمين، و حفظا لوحدة الكلمة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و أنت بالتأمل فيما قدمناه من البيان تعرف سقوط هذه الشبهة من أصلها، و ذلک أن هذا التقريب من الممکن أن نساعده فی تقييد إطلاق الآية فی صورة الفسق بما ذكر من قول النبی ص: «لا طاعة لمخلوق فی معصية الخالق» و ما يؤدی هذا المعنی من الآيات القرآنية كقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ: «الأعراف: ۲۸»، و ما فی هذا المعنی من الآيات.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- و كذا من الممكن بل الواقع أن يجعل شرعا نظير هذه الحجية الظاهرية المذكورة كفرض طاعة أمراء السرايا الذين كان ينصبهم عليهم رسول الله ص، و كذا الحكام الذين كان يوليهم على البلاد كمكة و اليمن أو يخلفهم بالمدينة إذا خرج إلى غزاة، و كحجية قول المجتهد على مقلده و هكذا لكنه لا يوجب تقيد الآية فكون مسألة من المسائل صحيحة فى نفسه أمر و كونها مدلولا عليها بظاهر آية قرآنية أمر آخر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- فالآية تدلّ على افتراض طاعة أولى الأمر هؤلاء، و لم تقيده بقيد و لا شرط، و ليس فى الآيات القرآنية ما يقيد الآية فى مدلولها حتى يعود معنى قوله «وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» إلى مثل قولنا: و أطيعوا أولى الأمر منكم فيما لم يأمروا بمعصية أو لم تعلموا بخطئهم فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم، و إن علمتم خطأهم فقوموهم بالرد إلى الكتاب و السنة فما هذا معنى قوله: وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- مع أن الله سبحانه أبان ما هو أوضح من هذا القيد فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة كقوله في الوالدين: و وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بوالدَيْه حُسْناً و إِنْ جاهَداكَ لتُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما الآية: «العنكبوت: ٨» فما باله لم يظهر شيئا من هذه القيود في آية تشتمل على أس أساس الدين، و إليها تنتهي عامة أعراق السعادة الإنسانية.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- على أن الآية جمع فيها بين الرسول و أولى الأمر، و ذكر لهما معا طاعة واحدة فقال: وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، و لا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية أو يغلط فى حكم فلو جاز شىء من ذلك على أولى الأمر لم يسع إلا أن يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أى تقييد، و لازمه اعتبار العصمة فى جانب أولى الأمر كما اعتبر فى جانب رسول الله ص من غير فرق.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- ثم إن المراد بالأمر فی أولی الأمر هو الشأن الراجع إلی دین المؤمنین المخاطبین بهذا الخطاب أو دنیاهم علی ما یؤیده قوله تعالی: و شاورهم فی الأمر: «آل عمران: ۱۵۹»، و قوله فی مدح المتقین: و أمرهم شوری بینهم: «الشوری: ۳۸»، و إن کان من الجائز بوجه أن یراد بالأمر ما یقابل النهی لکنه بعید.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و قد قيد بقوله: «منكم» و ظاهره كونه ظرفا مستقرا أى أولي الأمر كائنين منكم و هو نظير قوله تعالى: هُوَ الَّذى بعث فى الْأُمِّيِّينَ رسولًا منهم: «الجمعة: ٢»، و قوله فى دعوة إبراهيم: ربّنا و ابْعَثْ فيهِمْ رسولًا منهم: «البقرة: ١٢٩»، و قوله:رسل منكم يقصون عليكم آياتى: «الأعراف: ٣٥»،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و بهذا يندفع ما ذكره بعضهم:
- أن تقييد أولى الأمر بقوله: «مِنْكُمْ» يدل على أن الواحد منهم إنسان عادى مثلنا و هم منا و نحن مؤمنون من غير مزية عصمة إلهية.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- ثم إن أولَى الأمر لما كان اسم جمع يدل على كثرة جمعية في هؤلاء المسمين بأولى الأمر فهذا لا شک فيه لكن يحتمل في بادئ النظر أن يكونوا آحادا يلى الأمر و يتلبس بافتراض الطاعة واحد منهم بعد الواحد فينسب افتراض الطاعة إلى جميعهم بحسب اللفظ، و الأخذ بجامع المعنى، كقولنا: صل فرائضک و أطع سادتک و كبراء قومک.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و من عجيبَ الكلام ما ذكره الرازى: أن هذا المعنى يوجب حمل الجمع على المفرد، و هو خلاف الظاهر، و قد غفل عن أن هذا استعمال شائع فى اللغة، و القرآن ملىء به كقوله تعالى: فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ: «القلم: ٨»، و قوله: فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ: «الفرقان: ٥٢»، و قوله: إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا: «الأحزاب: ٦٧»،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- و قوله: وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ: «الشعراء: ۱۵۱»، و قوله: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ: «البقرة: ۲۳۸»، و قوله: وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ: «الحجر: ۸۸»، إلى غير ذلك من الموارد المختلفة بالإثبات و النفى، و الإخبار و الإنشاء.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و الذى هوَ خلاف الظاهر من حمل الجمع على المفرد هو أن يطلق لفظ الجمع و يراد به واحد من آحاده لا أن يوقع حكم على الجمع بحيث ينحل إلى أحكام متعددة بتعدد الآحاد، كقولنا: أكرم علماء بلدك أى أكرم هذا العالم، و أكرم ذاك العالم، و هكذا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و يحتمل أيضاً أن يكون المراد بأولى الأمر- هؤلاء الذين هم متعلق افتراض الطاعة- الجمع من حيث هو جمع أى الهيئة الحاصلة من عدة معدودة كل واحد منهم من أولى الأمر، و هو أن يكون صاحب نفوذ فى الناس، و ذا تأثير فى أمورهم كرؤساء الجنود و السرايا و العلماء و أولياء الدولة، و سراة القوم،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- بل كما ذكَره في المنار هم أهل الحل و العقد الذين تثق بهم الأمة من العلماء و الرؤساء في الجيش و المصالح العامة كالتجارة و الصناعات و الزراعة و كذا رؤساء العمال و الأحزاب، و مديرو الجرائد المحترمة، و رؤساء تحريرها! فهذا معنى كون أولى الأمر هم أهل الحل و العقد، و هم الهيئة الاجتماعية من وجوه الأمة لكن الشأن في تطبيق مضمون تمام الآية على هذا الاحتمال.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- الآية دالة- كما عرفت- على عصمة أولى الأمر و قد اضطر إلى قبول ذلك القائلون بهذا المعنى من المفسرين.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- فهل المتصف بهذه العصمة أفراد هذه الهيئة فيكون كل واحد منهم معصوما فالجميع معصوم إذ ليس المجموع إلا الآحاد؟ لكن من البديهى أن لم يمر بهذه الأمة يوم يجتمع فيه جماعة من أهل الحل و العقد كلهم معصومون على إنفاذ أمر من أمور الأمة و من المحال أن يأمر الله بشىء لا مصداق له فى الخارج،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامرِ منكُمْ

- أو أن هذه العصمة- و هى صفة حقيقية- قائمة بتلك الهيئة قيام الصفة بموصوفها و إن كانت الأجزاء و الأفراد غير معصومين بل يجوز عليهم من الشرک و المعصية ما يجوز على سائر أفراد الناس فالرأى الذى يراه الفرد يجوز فيه الخطأ و أن يكون داعيا إلى الضلال و المعصية بخلاف ما إذا رأته الهيئة المذكورة لعصمتها؟ و هذا أيضا محال و كيف يتصور اتصاف موضوع اعتبارى بصفة حقيقية أعنى اتصاف الهيئة الاجتماعية بالعصمة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- أو أن عصمة هذه الهيئة ليست وصفا لأفرادها و لا لنفس الهيئة بل حقيقته أن الله يصون هذه الهيئة أن تأمر بمعصية أو ترى رأيا فتخطئ فيه، كما أن الخبر المتواتر مصون عن الكذب، و مع ذلک ليست هذه العصمة بوصف لكل واحد من المخبرين و لا للهيئة الاجتماعية بل حقيقته أن العادة جارية على امتناع الكذب فيه،

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و بعبارة أخرى هو تعالى يصون الخبر الذى هذا شأنه عن وقوع الخطإ فيه و تسرب الكذب عليه، فيكون رأى أولى الأمر مما لا يقع فيه الخطأ البتة و إن لم يكن آحادهم و لا هيئتهم متصفة بصفة زائدة بل هو كالخبر المتواتر مصون عن الكذب و الخطإ و ليكن هذا معنى العصمة فى أولى الأمر، و الآية لا تدل على أزيد من أن رأيهم غير خابط بل مصيب يوافق الكتاب و السنة، و هو من عناية الله على الأمة،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- و قد روىَ عن النبى ص أنه قال: لا تجتمع أمتى على خطإ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- أما الروايةَ فهى أجنبية عن المورد فإنها إن صحت فإنما تنفى اجتماع الأمة على خطإ، و لا تنفى اجتماع أهل الحل و العقد منهم على خطإ، و للأمة معنى و لأهل الحل و العقد معنى آخر، و لا دليل على إرادة معنى الثانى من لفظ الأول، و كذا لا تنفى الخطأ عن اجتماع الأمة بل تنفى الاجتماع على خطإ، و بينهما فرق.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمرِ منكُمْ

- و يعود معنَى الروايـة إلـى أن الخطـأ فـى مسـألة مـن المسائل لا يستوعب الأمة بل يكون دائما فيهم من هـو على الحق: إما كلهم أو بعضهم و لو معصوم واحد،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- فيوافق ما دل من الآيات و الروايات على أن دين الإسلام و ملة الحق لا يرتفع من الأرض بل هو باق إلى يوم القيامة، قال تعالى: فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين: «الأنعام:٨٩» و قوله: و جعلها كلمة باقية في عقبه: «الزخرف: ٢٨» و قوله: إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون: «الحجر: ٩» و قوله: و إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه: «فصلت: ٤٢» إلى غير ذلك من الآيات.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و ليس يختَص هذا بأمة محمد بل الصحيح من الروايات تدل على خلافه، و هى الروايات الواردة من طرق شتى عن النبى ص الدالة على افتراق اليهود على إحدى و سبعين فرقة و النصارى على اثنتين و سبعين فرقة، و المسلمين على ثلاث و سبعين فرقة كلهم هالك إلا واحدة، و قد نقلنا الرِوايةِ فِي المبحث الروائِي الموضوع فى ذيل قوله تعالى:و اعْتَصِموا بِحَبْلِ اللَّهِ جمِيعاً: «آل عمران: ۱۰۳».

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و بالجملة لا كلام على متن الرواية إن صح سندها فإنها أجنبية عن مورد الكلام، و إنما الكلام فى معنى عصمة أهل الحل و العقد من الأمة لو كان هو المراد بقوله: و أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ.
- ما هو العامل الموجب لعصمة أهل الحل و العقد من المسلمين فيما يرونه من الرأى؟

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامرِ منكُمْ

- هذه العصابَة التی شأنها الحل و العقد فی الأمور غیر مختصة بالأمة المسلمة بل کل أمة من الأمم العظام بل الأمم الصغیرة بل القبائل و العشائر لا تفقد عدة من أفرادها لهم مکانة فی مجتمعهم ذات قوة و تأثیر فی الأمور العامة،

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمرِ منكُمْ

- و أنت إذا فحَصت التاريخ فى الحوادث الماضيۀ و ما فى عصرنا من الأمم و الأجيال وجدت موارد كثيرۀ اجتمعت أهل الحل و العقد منهم فى مهام الأمور و عزائمها على رأى استصوبوه ثم عقبوه بالعمل، فربما أصابوا و ربما أخطئوا، فالخطأ و إن كان فى الآراء الفرديۀ أكثر منه فى الآراء الاجتماعيۀ لكن الآراء الاجتماعيۀ ليست بحيث لا تقبل الخطأ أصلا فهذا التاريخ و هذه المشاهدۀ يشهدان منه على مصاديق و موارد كثيرۀ جدا:

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- فلو كان الرَأى الاجتماعى من أهل الحل و العقد فى الإسلام مصونا عن الخطإ فإنما هو بعامل ليس من سنخ العوامل العادية بل عامل من سنخ العوامل المعجزة الخارقة للعادة،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و يكون حَينئذ كرامة باهرة تختص بها هذه الأمة تقيم صلبهم، و تحفظ حماهم و تقيهم من كل شر يدب في جماعتهم و وحدتهم و بالآخرة سببا معجزا إلهيا يتلو القرآن الكريم، و يعيش ما عاش القرآن، نسبته إلى حياة الأمة العملية نسبة القرآن إلى حياتهم العلمية فكان من اللازم أن يبين القرآن حدوده و سعة دائرته، و يمتن الله به كما أمتن بالقرآن و بمحمد ص، و يبين لهذه العصابة وظيفتهم الاجتماعية كما بين لنبيه ذلك،

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و أن يوصَى به النبى ص أمته، و لا سيما أصحابه الكرام و هم الذين صاروا بعده أهلا للحل و العقد، و تقلدوا ولاية أمور الأمة، و أن يبين أن هذه العصابة المسماة بأولى الأمر ما حقيقتها، و ما حدها و ما سعة دائرة عملها، و هل يتشكل هيئة حاكمة واحدة على جميع المسلمين فى الأمور العامة لجميع الأمة الإسلامية؟ أو تنعقد فى كل جمعية إسلامية جمعية أولى الأمر فيحكم فى نفوسهم و أعراضهم و أموالهم؟.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و لكان من اللازم أن يهتم به المسلمون و لا سيما الصحابة فيسألوا عنه و يبحثوا فيه، و قد سألوا عن أشياء لا قدر لها بالنسبة إلى هذه المهمة كالأهلة، و ما ذا ينفقون، و الأنفال قال تعالى: «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ» و «يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ» و «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالَ» فما بالهم لم يسألوا؟ أو أنهم سألوا ثم لعبت به الأيدى فخفى علينا؟ فليس الأمر مما يخالف هوى أكثرية الأمة الجارية على هذه الطريقة حتى يقضوا عليه بالإعراض فالترک حتى ينسى.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- و لكان منَ الواجب أن يحتج به فى الاختلافات و الفتن الواقعة بعد ارتحال النبى ص حينا بعد حين، فما لهذه الحقيقة لا توجد لها عين و لا أثر فى احتجاجاتهم و مناظراتهم، و قد ضبطها النقلة بكلماتها و حروفها، و لا توجد فى خطاب و لا كتاب؟ و لم تظهر بين قدماء المفسرين من الصحابة و التابعين حتى ذهب إليه شرذمة من المتأخرين: الرازى و بعض من بعده!.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- حتى أن الرازى أورد على هذا الوجه بعد ذكره: بأنه مخالف للإجماع المركب فإن الأقوال فى معنى أولى الأمر لا تجاوز أربعة: الخلفاء الراشدون، و أمراء السرايا، و العلماء و الأئمة المعصومون، فالقول الخامس خرق للإجماع، ثم أجاب بأنه فى الحقيقة راجع إلى القول الثالث فأفسد على نفسه ما كان أصلحه

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فهذا كله يقضي بأن الأمر لم يكن بهذه المثابة، و لم يفهم منه أنه عطية شريفة و موهبة عزيزة من معجزات الإسلام و كراماته الخارقة لأهل الحل و العقد من المسلمين.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامرِ منكُمْ

- أو يقال: إنَ هذه العصمة لا تنتهي إلى عامل خارق للعادة بل الإسلام بنى تربيته العامة على أصول دقيقة تنتج هذه النتيجة: أن أهل الحل و العقد من الأمة لا يغلطون فيما اجتمعوا عليه، و لا يعرضهم الخطأ فيما رأوه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و هذا الاحَتمال مع كونه باطلا من جهة منافاته للناموس العام و هو أن إدراک الکل هو مجموع إدراکات الأبعاض، و إذا جاز الخطأ علی کل واحد واحد جاز علی الکل یرد علیه أن رأی أولی الأمر بهذا المعنی لو اعتمد فی صحته و عصمته علی مثل هذا العامل غیر المغلوب لم یتخلف عن أثره فإلی أین تنتهی هذه الأباطیل و الفسادات التی ملأت العالم الإسلامی؟.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و كم من مَنتدى إسلامى بعد رحلة النبى ص اجتمع فيه أهل الحل و العقد من المسلمين على ما اجتمعوا عليه ثم سلكوا طريقا يهديهم إليه رأيهم فلم يزيدوا إلا ضلالا و لم يزد إسعادهم المسلمين إلا شقاء و لم يمكث الاجتماع الدينى بعد النبى ص دون أن عاد إلى إمبراطورية ظالمة حاطمة!

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فليبحث البَاحث الناقد في الفتن الناشئة منذ قبض رسول الله ص و ما استتبعته من دماء مسفوكة، و أعراض مهتوكة، و أموال منهوبة، و أحكام عطلت و حدود أبطلت! ثم ليبحث في منشئها و محتدها، و أصولها و أعراقها هل تنتهي الأسباب العاملة فيها إلا إلى ما رأته أهل الحل و العقد من الأمة ثم حملوا ما رأوه على أكتاف الناس؟.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- فهذا حال هَذا الركن الركين الذى يعتمد عليه بناية الدين أعنى رأى أهل الحل و العقد لو كان هو المراد بأولى الأمر المعصومين فى رأيهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فلا مناص على القول بأن المراد بأولى الأمر أهل الحل و العقد من أن نقول بجواز خطئهم و إنهم على حد سائر الناس يصيبون و يخطئون غير أنهم لما كانوا عصابة فاضلة خبيرة بالأمور مدربين مجربين يقل خطؤهم جدا، و أن الأمر بوجوب طاعتهم مع كونهم ربما يغلطون و يخطئون من باب المسامحة في موارد الخطإ نظرا إلى المصلحة الغالبة في مداخلتهم

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمرِ منكُمْ

- فلو حكموا بَما يغاير حكم الكتاب و السنة، و يطابق ما شخصوه من مصلحة الأمة بتفسير حكم من أحكام الدين بغير ما كان يفسر سابقا أو تغيير حكم بما يوافق صلاح الوقت أو طبع الأمة أو وضع حاضر الدنيا كان هو المتبع، و هو الذى يرتضيه الدين لأنه لا يريد إلا سعادة المجتمع و رقية فى اجتماعه كما هو الظاهر المتراءى من سير الحكومات الإسلامية فى صدر الإسلام و من دونهم

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فلم يمنع حكم من الأحكام الدائرة فى زمن النبى ص و لم يقض على سيرة من سيره و سننه إلا علل ذلك بأن الحكم السابق يزاحم حقا من حقوق الأمة، و أن صلاح حال الأمة فى إنفاذ حكم جديد يصلح شأنهم، أو سن سنة حديثة توافق آمالهم فى سعادة الحياة،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۷

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و قد صرحَ بعض الباحثين «١» أن الخليفة له أن يعمل بما يخالف صريح الدين حفظا لصلاح الأمة.
- (١) صاحب فجر الإسلام فيه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۷

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و على هذَا فيكون حال الملـة الإسـلامية حـال سـائر المجتمعات الفاضلة المدنية فى أن فيها جمعيـة منتخبـة تحكم على قوانين المجتمـع علـى حسـب مـا تـراه و تشاهده من مقتضيات الأحوال، و موجبات الأوضاع.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۷

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و هذا الوجَه أو القول- كما ترى- قول من يرى أن الدين سنة اجتماعية سبكت فى قالب الدين، و ظهرت فى صورته فهو محكوم بما يحكم على متون الاجتماعات البشرية و هياكلها بالتطور فى أطوار الكمال التدريجى، و مثال عال لا ينطبق إلا على حياة الإنسان الذى كان يعيش فى عصر النبوة و ما يقاربه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۷

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- فهی حلقةَ متقضیة من حلق هذه السلسلة المسماة بالمجتمع الإنسانی لا ینبغی أن یبحث عنها الیوم إلا کما یبحث علماء طبقات الأرض (الجیولوجیا) عن السلع المستخرجة من تحت أطباق الأرض.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۷

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- و من أعجَب الكلام المتعلق بهذه الآية ما ذكره بعض المؤلفين أن قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» لا يدَل على شيء مما ذكره المَفسرون علَى اختلاف أقوالهم.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۷

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- أما أولا فلأن فرض طاعة أولى الأمر كائنين من كانوا لا يدل على فضل و مزية لهم على غيرهم أصلا كما أن طاعة الجبابرة و الظلام واجبة علينا فى حال الاضطرار اتقاء من شرهم، و لن يكونوا بذلک أفضل منا عند الله سبحانه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و أما ثانياً فلأن الحكم المذكور في الآية لا يزيد على سائر الأحكام التي تتوقف فعليتها على تحقق موضوعاتها نظير وجوب الإنفاق على الفقير و حرمة إعانة الظالم فليس يجب علينا أن نوجد فقيرا حتى ننفق عليه أو ظالما حتى لا نعينه.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- و الوجهانَ اللذان ذكرهما ظاهرا الفساد، مضافا إلى أن هذا القائل قدر أن المراد بأولى الأمر فى الآية الحكام و السلاطين و قد تبين فساد هذا الاحتمال.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- أما الوجه الأول فلأنه غفل عن أن القرآن مملوء من النهى عن طاعة الظالمين و المسرفين و الكافرين، و من المحال أن يأمر الله مع ذلک بطاعتهم ثم يزيد على ذلک فيقرن طاعتهم بطاعة نفسه و رسوله، و لو فرض كون هذه الطاعة طاعة تقية لعبر عنها بإذن و نحو ذلک كما قال تعالى: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً: «آل عمران: ٢٨»، لا بالأمر بطاعتهم صريحا حتى يستلزم كل محذور شنيع.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و أما الوجه الثانى فهو مبنى على الوجه الأول من معنى الآية أما لو فرض افتراض طاعتهم لكونهم ذا شأن فى الدين كانوا معصومين لما تقدم تفصيلا، و محال أن يأمر الله بطاعة من لا مصداق له، أو له مصداق اتفاقى فى آية تتضمن أس أساس المصالح الدينية و حكما لا يستقيم بدونه حال المجتمع الإسلامى أصلا، و قد عرفت أن الحاجة إلى أولى الأمر عين الحاجة إلى الرسول و هى الحاجة إلى ولاية أمر الأمة و قد تكلمنا فيه فى بحث المحكم و المتشابه.[٨٢]

[٨٢] الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و لنرجع إلى أول الكلام فى الآية:

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- ظهر لک مَن جميعِ ما قدمناه أن لا معنى لحمل قوله تعالى: «وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» على جماعة المجمعين من أهل الحل و العقد، و هَى الهيئة الاجتماعية بأى معنى من المعانى فسرناه فليس إلا أن المراد بأولى الأمر آحاد من الأمة معصومون فى أقوالهم مفترض طاعتهم فتحتاج معرفتهم إلى تنصيص من جانب الله سبحانه من كلامه أو بلسان نبيه فينطبق على ما روى من طرق أئمة أهل البيت ع أنهم هم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۸

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و أما ما قيل: إن أولى الأمر هم الخلفاء الراشدون أو أمراء السرايا أو العلماء المتبعون في أقوالهم و آرائهم فيدفع ذلك كله أولا: أن الآية تدل على عصمتهم و لا عصمة في هؤلاء الطبقات بلا إشكال إلا ما تعتقده طائفة من المسلمين في حق علي ع، و ثانيا: أن كلا من الأقوال الثلاث قول من غير دليل يدل عليه.

الميزان في تفسير القرآن، ج ۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و أما ما أوَرد على كون المراد به أئمة أهل البيت المعصومين ع:
- أولا: إن ذلک يحتاج إلى تعريف صريح من الله و رسوله، و لو كان ذلک لم يختلف فی أمرهم اثنان بعد رسول الله ص.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و فيه: أن ذلک منصوص عليه فى الكتاب و السنة كآية الولاية و آية التطهير و غير ذلک، و سيأتى بسط الكلام فيها، و
- كحديث السفينة: «مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق»
- و حديث الثقلين: «إنى تارک فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى- ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا»

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و قد مر فَى بحث المحكم و المتشابه فى الجزء الثالث من الكتاب، و كأحاديث أولى الأمر المروية من طرق الشيعة و أهل السنة، و سيجىء بعضها فى البحث الروائى التالى.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم

- و ثانيا: أنَ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم فإنها من دون معرفتهم تكليف بما لا يطاق و إذا كانت مشروطة فالآية تدفعه لأنها مطلقة.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و فيه: أن الإشكال منقلب على المستشكل فإن الطاعة مشروطة بالمعرفة مطلقا، و إنما الفرق أن أهل الحل و العقد يعرف مصداقهم على قوله من عند أنفسنا من غير حاجة إلى بيان من الله و رسوله، و الإمام المعصوم يحتاج معرفته إلى معرف يعرفه، و لا فرق بين الشرط و الشرط فى منافاته الآية.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- على أن المَعرفة و إن عدت شرطا لكنها ليست من قبيل سائر الشروط فإنها راجعة إلى تحقق بلوغ التكليف فلا تكليف من غير معرفة به و بموضوعه و متعلقه، و ليست راجعة إلى التكليف و المكلف به، و لو كانت المعرفة في عداد سائر الشرائط كالاستطاعة في الحج، و وجدان الماء في الوضوء مثلا لم يوجد تكليف مطلق أبدا إذ لا معنى لتوجه التكليف إلى مكلف سواء علم به أو لم يعلم.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۹

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و ثالثا: أنا في زماننا هذا عاجزون عن الوصول إلى الإمام المعصوم و تعلم العلم و الدين منه، فلا يكون هو الذى فرض الله طاعته على الأمة إذ لا سبيل إليه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و فيه: أن ذلک مستند إلى نفس الأمة فى سوء فعالها و خيانتها على نفسها لا إلى الله و رسوله فالتكليف غير مرتفع كما لو قتلت الأمة نبيها ثم اعتذرت أنها لا تقدر على طاعته، على أن الإشكال مقلوب عليه فإنا لا نقدر اليوم على أمة واحدة فى الإسلام ينفذ فيها ما استصوبته لها أهل الحل و العقد منها.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم

- و رابعا: أنَ الله تعالي يقول: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّه وَ الرَّسُولِ»، و لو كان المراد مَن أولیً الأمر الإمام المَعصوم لوجَب أن يقال: فإن تنازعتم فی شیء فردوه إلی الإمام.

- و فيه: أن جوابه تقدم فيما مر من البيان، و المراد بالرد الرد إلى الإمام بالتقريب الذى تقدم.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و خامسا: أن القائلين بالإمام المعصوم يقولون: إن فائدة اتباعه إنقاذ الأمة من ظلمة الخلاف، و ضرر التنازع و التفرق و ظاهر الآية يبين حكم التنازع مع وجود أولى الأمر، و طاعة الأمة لهم كأن يختلف أولو الأمر في حكم بعض النوازل و الوقائع، و الخلاف و التنازع مع وجود الإمام المعصوم غير جائز عند القائلين به لأنه عندهم مثل الرسول ص فلا يكون لهذا الزيادة فائدة على رأيهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- و فيه: أن جوابه ظاهر مما تقدم أيضا فإن التنازع المذكور فى الآية إنما هو تنازع المؤمنين فى أحكام الكتاب و السنة دون أحكام الولاية الصادرة عن الإمام فى الوقائع و الحوادث، و قد تقدم أن لا حكم إلا لله و رسوله فإن تمكن المتنازعون من فهم الحكم من الكتاب و السنة كان لهم أن يستنبطوه منهما، أو يسألوا الإمام عنه و هو معصوم فى فهمه،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- و إن لم يتمكنوا من ذلک کان علیهم أن یسألوا عنه الإمام، و ذلک نظیر ما کان لمن یعاصر رسول الله ص کانوا یتفقهون فیما یتمکنون منه أو یسألون عنه رسول الله ص، و یسألونه فیما لا یتمکنون من فهمه بالاستنباط.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فحكم أولَى الأمر فى الطاعة حكم الرسول على ما يدل عليه الآية، و حكم التنازع هو الذى ذكره فى الآية سواء فى ذلک حضور الرسول كما يدل عليه الآيات التالية، و غيبته كما يدل عليه الأمر فى الآية بإطلاقه، فالرد إلى الله و الرسول المذكور فى الآية مختص بصورة تنازع المؤمنين كما يدل عليه قوله: تَنازَعْتُم، و لم يقل: فإن تنازع أولو الأمر، و لا قال: فإن تنازعوا،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و الرد إِلَى اللَّهِ و الرسول عند حضور الرسول هو سؤال الرسول عن حكم المسألة أو استنباطه من الكتاب و السنة للمتمكن منه، و عند غيبته أن يسأل الإمام عنه أو الاستنباط كما تقدم بيانه، فلا يكون قوله: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ «إلخ» زائدا من الكلام مستغنى عنه كما ادعاه المستشكل.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۰۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- فقد تبين من جميع ما تقدم: أن المراد بأولى الأمر فى الآية رجال من الأمة حكم الواحد منهم فى العصمة و افتراض الطاعة حكم الرسول ص، و هذا مع ذلک لا ينافى عموم مفهوم لفظ أولى الأمر بحسب اللغة، و إرادته من اللفظ فإن قصد مفهوم من المفاهيم من اللفظ شىء و إرادة المصداق الذى ينطبق عليه المفهوم شىء آخر، و ذلک كما أن مفهوم الرسول معنى عام كلى و هو المراد من اللفظ فى الآية لكن المصداق المقصود هو الرسول محمد ص.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۱

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- قوله تعالىَ: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول» إلى آخر الآية تفريع علىً الحصر المستفاد من المورد فإن قوله: أطيعوا اللَّه «إلخ» حيث أوجب طاعة الله و رسوله، و هذه الطاعة إنما هي في المواد الدينية التي تتكفل رفع كل اختلاف مفروض، و كل حاجة ممكنة لم يبق مورد تمس الحاجة الرجوع إلى غير الله و رسوله، و كان معنى الكلام: أطيعوا الله، و لا تطيعوا الطاغوت، و هو ما ذكرناه من الحصر.

الميزان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۱

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و توجه الخطاب إلى المؤمنين كاشف عن أن المراد بالتنازع هو تنازعهم بينهم لا تنازع مفروض بينهم و بين أولى الأمر، و لا تنازع مفروض بين أولى الأمر فإن الأول أعنى التنازع بينهم و بين أولى الأمر لا يلائم افتراض طاعة أولى الأمر عليهم، و كذا الثانى أعنى التنازع بين أولى الأمر فإن افتراض الطاعة لا يلائم التنازع الذى أحد طرفيه على الباطل، على أنه لا يناسب كون الخطاب متوجها إلى المؤمنين فى قوله: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۱

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و لفظ الشيء و إن كان يعم كل حكم و أمر من الله و رسوله و أولي الأمر كائنا ما كان لكن قوله بعد ذلك: فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ يدل على أن المفروض هو النزاع فَي شيءَ ليس لأوَلى الأمر الاستقلال و الاستبداد فيه من أوامرهم فى دائرة ولايتهم كأمرهم بنفر أو حرب أو صلح أو غير ذلک، إذ لا معنى لإيجاب الرد إلى الله و الرسول فى هذه الموارد مع فرض طاعتهم فيها.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم

- فالآية تدلّ على وجوب الرد فی نفس الأحكام الدينية التی ليس لأحد أن يحكم فيها بإنفاذ أو نسخ إلا الله و رسوله، و الآية كالصريح فی أنه ليس لأحد أن يتصرف فی حكم دينی شرعه الله و رسوله، و أولو الأمر و من دونهم فی ذلك سواء.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۲

أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم

- و قوله: إنَ كنتم تؤمنون باللّه، تشديد فى الحكم و إشارة إلَى أن مخالفَته إنماَ تنتشَئ من فساد فى مرحلة الإيمان فالحكم يرتبط به ارتباطا فالمخالفة تكشف عن التظاهر بصفة الإيمان بالله و رسوله، و استبطان للكفر، و هو النفاق كما يدل عليه الآيات التالية.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۲

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و قوله: ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أى الرد عند التنازع أو إطاعةَ الله و رسوله و أولىَ الأمر، و التأويل هو المصلحة الواقعية التى تنشأ منها الحكم ثم تترتب علىِ العملِ و قد تقدم البحث عن معناه فى ذيل قوله تعالى: وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيله وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ الآية: «آل عمران: ٧» فى الجَزَء الثالث من الكتابَ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۲